معبد «نَبو»، ويفضّل عامة الشعب تبجيله من بعيد؛ وحين يمرّ الناس من أمام رُواقه للذهاب إلى أرباب آخرين فإنهم يحنّون الخطى ويوجّهون إلى المحراب نظرات حائرة. ذلك أن «نَبو»، إله الكَتَبَة، هو أيضاً كاتب الآلهة، وهو وحده مكلّف أن يكتب في كتاب الأبدية الأحداث التي غبرت والتي ستكون في مستقبل الأيام. وعندما يُحاذي بعض الطاعنين في السنّ جدار المعبد الأمْغَر فإنهم يُسْرِعون في ستر وجوههم. فربما كان «نَبو» قد نسي أنهم لا يزالون في هذه الدنيا، فلماذا تذكيره بالأمر؟.

يسخر المتعلّمون من مخاوف العامّة. فهم الذين يحبّون المعرفة أكثر من حبّهم القوّة أو الثروة، بل حتى السعادة، يفاخرون بتقديس «نَبو» أكثر من أي إله آخر. ويجتمعون يوم الأربعاء، اليوم المخصّص لوثنهم، في حَرَمَ المعبد، فيشكّلون، بوصفهم ناسخين أو تجّاراً أو موظّفين ملكيين، حلقات صغيرة نشِطة وبليغة تتسكّع كلّ منها تبعاً لتقاليدها. فبعضها يسلك الممشى المركزيّ ويطوف حول المحراب وصولاً إلى الحوض البيضوي الذي تسبح فيه الأسماك المقدّسة. وبعضها الآخر يفضّل الممشى الجانبي الأورف ظلالاً والمفضي إلى الحظيرة التي تحتجز بهائم الأضاحي. ويُسرِّح الغِزلان والحُملان والجداء عادةً في الحدائق؛ ويُحبس فقط الثيران وذئبان أسيران؛ بيد أنه، عشية الاحتفالات، يجمع العبيد الملحقون بالمعبد البهائمَ لإخلاء المواشي واتّقاء أعمال الصيد المحظور.

يتعرّف المرء من بين متنزّهي يوم الأربعاء بسهولة إلى «باتيغ». إلى ساقيه المغلّفتين في سراويل من الحرير الأخضر المثنّى على الطريقة الفارسية، وذراعيه النحيلتين المحوّمتين تحت معطف من القطيفة، وفوق هذا الطيف الهزيل المتلفّع على هذا النحو بالألوان الزاهية، يتعرّف إلى رأس يبدو وكأنه سُرق من أحد تماثيل العمالقة: لحية كثّة سمراء مضفورة وكأنها عُثكول، وشعر غزير منسدل ومربوط فوق الجبين بعصابة من نسيج صوفي متين مطرّز بشعار طبقته، طبقة